

أضواء البيان

@ 303 @ خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فإذا أعوز المدعي شاهداً حلف مع الشاهد كأنه قال : أستشهد بما الذي يعلم مني صدق دعواي . .

وكذلك المدعى عليه إذا عجز المدعي عن البينة وكانت الدعوى متوجهة ، ومما يشبهه ، كما يقول المالكية : فإن المدعى عليه يقول لدى البينة والشهادة على عدم ثبوت ما ادعى به على ألا ، وهو خير الشاهدين . .

من هو أكبر شهادة مما عجز عنها المدعي ألا وهو الاستشهاد بما تعالى ، فيحلف على براءة ذمته مما ادعى به عليه . . تنبيه .

ومن هنا يعلم حقيقة قوله صلى الله عليه وسلم : (من حلف بغير الله فقد أشرك) أي لأن الحالف يقيم المحلوف به مقام الشهود الذين رأوا أو سمعوا ، والمخلوق إذا كان غائباً لا يرى ولا يسمع ، فإذا حلف به كان قد أعطاه صفات من يرى ويسمع ، والحال أنه بخلاف ذلك ، ومن ناحية أخرى الحالف والمستحلف بالله يعلمان أن الله تعالى قادر على أن ينتقم من صاحب اليمين الغموس ، وغير الله إذا ما حلف به لا يقوى ولا يقدر على شيء من ذلك . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مَهْطِعِينَ وَعَنَ الَّذِينَ يَمِينُ وَعَنَ الشَّامِلِ عَزِينَ } . مهطعين : أي مسرعين نافرين ، وعزين جمع عزة ، وهم الجماعة ، أي ما بال أولئك الكفار المنصرفين عنك متفرقين ، وعليه قول الكميت :
عَنَ الَّذِينَ يَمِينُ وَعَنَ الشَّامِلِ عَزِينَ { . مهطعين : أي مسرعين نافرين ، وعزين جمع عزة ، وهم الجماعة ، أي ما بال أولئك الكفار المنصرفين عنك متفرقين ، وعليه قول الكميت :
: % (ونحن وجندل باغ تركنا % كتاب جندل شتى عزين) % .

وكذلك هنا فهم متفرقون عنه صلى الله عليه وسلم جماعات من كل جهة عن اليمين وعن الشمال . تفرقت بهم الأهواء وأخذتهم الحيرة كقوله تعالى : { فَمَالِ لَهُمْ عَنَ التَّذَكُّرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ } . . .
ونقل ابن كثير عن أحمد رحمه الله في أهل الأهواء ، فهم مخالفون للكتاب ، مخالفون في الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب . قوله تعالى : { إِنَّ زَنَّا خَلَقْنَا هُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ } .